

عصر الامارة:

توفي عبد الرحمن الداخل في عام (172هـ / 785م) وتولى بعده ابنه (هشام بن عبد الرحمن) ثم ابنه (الحكم بن هشام) الذي لقب بالحكم الأول الذي اتصف بالحاكم الظالم والقاسي، فكان يفرض الضرائب الباهظة على عامة الناس وتصنيف خصومه مما اعترضه من الفقهاء وعلماء الدين بالنصيحة والتحذير لما يقوم به من أعمال، فقامت على إثرها العديد من الثورات⁽¹⁾.

ففي عام (202هـ / 818م) اندلعت ثورة الربض بمساعدة بعض الفقهاء نتيجة حادث بسيط باعتهاء أحد حراس الأمير على حداد لصقل السيوف أدى لمقتله في حي الربض فاجتمع الناس على الحارس وقتلوه وتوجهوا إلى قصر الأمير لمهاجمته إلا أن الأمير استطاع القضاء عليها بإشعال النيران في مساكنهم وأسواقهم من جهة ومحاصرة الثوار من جهة أخرى فقتلت أعداد كثيرة ورحل من بقي منهم وهدم حي الربض وحرث أرضهم وقتل بعض الفقهاء⁽²⁾.

أهم أسباب ثورة الربض⁽³⁾:

1- سوء سياسة الأمير الحكم بن هشام واستخدام القوة والعنف في معاملته الرعية.

2- سوء شخصية الأمير الحكم بن هشام بحبه لوسائل اللهو وتناول الخمر مما أثار حفيظة عامة المسلمين عليه.

3- سوء تعامله مع بعض الفقهاء والعلماء وعدم احترام آرائهم مما دفعهم لتحريض العامة عليه بتدبير مؤامرة وتغيير نظام الحكم.

4- أثر المولدين ووضعهم الاجتماعي في الأندلس وسعيهم إلى تحريض الرعية.

نتائج ثورة الربض هي :

أ- لقب الأمير الحكم بن هشام بالربضي نسبة لحادثة الربض في التاريخ الأندلسي.

ب- قتل العديد من الناس ومن العلماء والفقهاء.

ج- تهجير عدد كبير من الفقهاء والعلماء والأدباء من قرطبة إلى داخل الأندلس وخارجها.

ندم الأمير الحكم بن هشام على فعلته إثر ثورة الربض جعلته يشعر بالندم والتوبة وكرهه للسلطة والإدارة، فقرر أن يتنازل عن القيادة لابنه ولي العهد (عبد الرحمن الأوسط) الذي كان له صفات حسنة⁽⁴⁾.

وخلال هذه الأحداث الداخلية كانت هنالك أخطار خارجية متمثلة بغزو النورمان للأندلس عدة مرات للأسباب الآتية⁽⁵⁾ :

1- ضعف الأسطول الأندلسي وغيابه عن السواحل وعدم وجود أبراج للمراقبة.

2- انشغال الإمارة الأموية بالاضطرابات الداخلية من ثورات وتمرد وفتن.

3- غنى الأندلس بالثروات لذلك هجم النورمان على سواحل الأندلس المفتوحة بالسلب والنهب.

4- إن من بين دوافع النورمان لغزو سواحل الأندلس هو التخريب والتدمير واتصافها بالسرعة والمباغته.

وفي هذا الوقت ظهرت (حركة الشهداء القديسين) وهم مجموعة متعصبة للدين المسيحي من المستعربين عرفوا بـ (الانتحاريين) لانهم يقدمون على سب وشتم النبي (ﷺ) أمام المساجد وأنظار الناس فيصدر بحقهم قاضي المدينة حكم القتل على الرغم من أن المسلمين لم يجبروا أحداً

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص15 و16؛ نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ص70. ينظر ملحق رقم (3) خريطة جغرافية توضح حدود بلاد الأندلس في عصر الإمارة.

(2) المراكشي، المعجب، ص16؛ ابن عذاري، البيان المرب، ج2، ص71؛ عباس، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، ص99.

(3) الحميدي، جنوة المقتبس، ج1، ص24؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ص34 و35؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص182-183؛ الحجى، التاريخ الأندلسي، ص256.

(4) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلسي، ج1، ص17؛ ابن حيان القرطبي، أبي مروان حيان بن خلف (ت: 469هـ/1076م)، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، د. ط، مطابع الأهرام التجارية، المجلس الأعلى لشؤون إسلامية، القاهرة - مصر، 2010م، ص222-224؛ الضبي، بغية الملتبس، ص14.

(5) ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، الطبعة الأولى، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت - لبنان، 2006، ص16 و40 و41؛ العتبي، تاريخ المغرب والأندلس، ص345-351.

على تغيير دينه بل تركوهم وشأنهم في مسألة العقيدة، غير أن هؤلاء استغلوا هذه الحرية بعمل مناف للمبادئ السامية التي جاء بها الدين الإسلامي، واستمرت هذه الحركة ثلاث سنوات حتى تم الاتفاق في ما بين رجال الدين المسيحي بتوجيه من الأمير عبد الرحمن الأوسط بأن هذه الحركة فيها من الغلو والتطرف الديني وهي خارجة عن مبدأ الدين المسيحي وانتشرت بين الناس تلك الإدانة مما تلاشت هذه الظاهرة تدريجياً⁽⁶⁾.

استمرت الإمارة الأموية بالحكم الوراثي بتولي أمراء لم تشهد لهم أحداث مؤثرة في التاريخ حتى وصلت إلى الأمير (عبد الله بن محمد) الذي حكم الأندلس عام (275هـ / 888م) في تلك الأوقات ازدادت الأموال ومن ثم ازداد الترف وفقدان التوازن بين الدين والدنيا وبدأت المنافسة على هذه الأموال، وعلى الرغم من ذلك كان الأمير عبد الله متصفاً بحسن السيرة وحكم لمدة خمسة وعشرين عاماً، لكنه لم يستطع أن يسيطر على الأمور في الأندلس فبدأ الضعف في نهاية حكمه⁽⁷⁾.

ونتيجة لهذا التنافس على حكم الإمارة حدث نزاع في داخل قصر الإمارة بقرطبة عندما كان ولي العهد (محمد بن عبد الله) قد قتل على يد أخيه (المطرف) مما قام الأمير عبد الله بن محمد بالقصاص منه بقتله وتسليم ولاية العهد إلى حفيده (عبد الرحمن الناصر) الذي عرف بعبد الرحمن الثالث فنشأ ونضج في قصر الإمارة وتعلم فن الإدارة والحكم، وأصبح عمره ثلاثة وعشرين عاماً فتولى حكم الأندلس في عام (300هـ / 912م)⁽⁸⁾.

لقد عانت الإمارة الأموية في الأندلس من بعض المولدين والمستعربين فلم يندمجوا بشكل كامل في المجتمع الإسلامي فأظهروا في فترات متفاوتة من التاريخ الأندلسي العصيان والثورة والتمرد وعدم الطاعة تدعمهم أعداء الإمارة الأموية المتمثلة بالفرنجة والممالك الإسبانية الناشئة والكنيسة، مطالبين بالاستقلال وتحسين أوضاعهم الاجتماعية، ومن أخطر عصاة المولدين هو تمرد (عمر بن حفصون) الذي أسلم وارتد وسمى نفسه صموئيل وشارك بتمرده أبناءه، إذ أعلن العصيان لأكثر من ربع قرن من عام (267هـ / 880م) حتى عام (305هـ / 917م) فقام بتخريب وتدمير المنشآت وفتح المجال للأعداء الخارجين من الممالك الإسبانية والدولة الفاطمية بالمقابل تقديم العون والمساعدة له⁽⁹⁾.

فقد اتبع أمراء الأندلس أهم الوسائل والطرق لمواجهة تمرد ابن حفصون وهي⁽¹⁰⁾ :

- 1- استخدام القوة العسكرية على الحصون التي يتركز فيها .
- 2- بناء التحصينات الدفاعية لمواجهة الخطر مثل الحصون والقلاع والأسوار .
- 3- في بعض الأوقات اتبع الأسلوب الدبلوماسي من أجل كسبه وترغيبه .
- 4- دفع الأموال للتخلص من العصيان المولدي .
- 5- توعية الناس بخطورة تمرد ابن حفصون في المساجد والمراكز العامة .
- 6- الملاحقة والمطاردة لجماعته في مدن الأندلس الجنوبية .

أهم سمات عصر الإمارة:

- 1- ظهرت العديد من الاضطرابات والثورات في مدن الأندلس استطاعت الدولة الأموية بإخمادها .
- 2- لا يوجد نشاط سياسي مع الخلافة العباسية في المشرق .
- 3- الاهتمام بالجند والصناعات الحربية وتقسيم الأندلس إلى مناطق من الناحية العسكرية وكان لكل منطقة جيش يحميها .
- 4- ازدياد دخول الناس في الدين الإسلامي لما لهذا الدين من التسامح والانفتاح على بقية الأديان .

(6) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص256-257 (لم تذكرها المصادر الإسلامية بل ذكرتها فقط المصادر الأوربية) .

(7) ابن الفرزي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص17 و18 ؛ الضبي، بغية الملتبس، ص15 و16 ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ص75 ؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص127-132 .

(8) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص150 و151 ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص200 و201 .

(9) ابن القوطية القرطبي، تاريخ افتتاح قرطبة، ص109-112 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص131-133 و171 ؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص127 و128 .

(10) بن الخطيب الغرناطي، أعمال الاعلام، ج2، ص32-35 ؛ العامري، تاريخ بلد الأندلس، ص81-84 .

- 5- تنظيم إدارة الدولة وإيجاد مناصب جديدة في الأندلس كالحجابه والوزارة .
- 6- الاهتمام بالجانب العمراني بإنشاء المدن والجوامع والاهتمام بالحدائق ووسائل الري .
- 7- ازدياد التبادل الثقافي بين الأندلس والمشرق الإسلامي .
- 8- انفاق دولة الأندلس على بناء المدارس وانتشار التعليم .
- 9- اتساع نفوذ القضاء الذي وصف باستقلاليتة ونزاهته .